

طرابلس الغرب أثناء حكم احمد القرماني (١٧١١-١٧٤٥)

Western Tripoli during the rule of Ahmed Al-Qarmanli (1711-1745)

الأستاذ الدكتور: سمير عبد الرسول العبيدي

Prof. Samir Abdul Rasoul Al Obeidi

الجامعة المستنصرية/ مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية

Al Mustansiriya University/ Al Mustansiriya Center for Arabic and International
Studies

Dr.saa2004@yahoo.com

المستخلص

نجح احمد القرماني (١٦٨٦-١٧٤٥)، بالوصول إلى سُدة الحكم في طرابلس الغرب عام ١٧١١، ليؤسس نظام وراثي مستقل (١٧١١-١٨٣٥)، مع الحفاظ على التبعية الاسمية للدولة العثمانية، لكنه واجه عدد لا يحصى من الأزمات، سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، في بلد مترامي الأطراف، يحظى فيه الزعماء المحليون بسلطات واسعة، لكنه نجح في إخماد الثورات الداخلية، ثم الاهتمام بالجانب الاقتصادي، بخاصة مع الموقع الذي حظيت به بلاده، من جراء ساحلها الطويل المطل على البحر المتوسط، مما جعلها محطة للسفن، ومدخل إلى قلب القارة الإفريقية.

الكلمات المفتاحية: (طرابلس الغرب، القرمانيون، احمد القرماني ١٧١١-١٧٤٥، السياسة الداخلية، المجتمع والاقتصاد).

Abstract

Ahmed Al-Qarmanli (1686-1745) succeeded in reaching power in Tripoli of the west in 1711, establishing an independent hereditary system, while maintaining nominal subordination to the Ottoman state, but he faced countless problems, both internally and externally, in a vast country where local leaders enjoyed With broad powers, but he succeeded in putting down internal revaluations ,Then pay attention to the economic aspect especially which the location his country received, because of its long coast overlooking the Mediterranean Sea, which made it a station for ships and an entrance to the heart of the African continent.

Key word: (Tripoli of the west, Ahmed Al-Qarmanli 1711-1745 karamanilion, Internal Policy, Society and Economy).

المقدمة

احتل العثمانيون طرابلس الغرب في العام ١٥٥١، وخلال تلك المرحلة التي شكلت العهد العثماني الأول (١٥٥١-١٧١١)، شهدت البلاد حالة من الفوضى والفلتان الداخلي من جراء ضعف السلطة الحاكمة، بسبب تقشي الفساد وغياب أي دور للباب العالي، نتيجة المشكلات السياسية والعسكرية التي أحاطت بالدولة العثمانية، وأرغمتها على القتال في حروب لا تكاد تنتهي وعلى جبهات متعددة ومتباعدة، ما كبدها خسائر بشرية ومالية باهظة، بل وأضعف من موقفها في السياسة الدولية، لذا لم تحظ الايالات التي تقع على أطراف الدولة، بأي اهتمام يذكر من قبل السلطات العثمانية، مما جعل السكان يعانون الأمرين، نتيجة تعسف الحكام وصراهم المستمر على الحكم، وفوضى الجند، بالإضافة إلى الضرائب الفادحة التي كان يتم فرضها، وجبايتها بأساليب غاية في القسوة، ذلك اوجد حالة من اليأس والتذمر بين أوساط السكان، الذين كانوا يتوقون إلى التغيير، ذاك الذي حدث عقب تولي احمد القرمانلي (١٦٨٦-١٧٤٥) الحكم في العام ١٧١١.

استهل البحث بالتمهيد الذي شكل مقدمة تاريخية للمحتوى العلمي، حيث جرى شرح الظروف المأساوية التي كانت تعيشها الايالة (تسمية عثمانية تعني المنطقة التي يحكمها والي) ، من جراء التناحر على السلطة والحكم، بين القوى العسكرية، والتي اتخذ نمط التآمر والاغتيالات المستمرة، ما جعلها تقع بأيدي اللصوص وقطاع الطرق، ولم يقتصر الأمر على طرابلس الغرب، بل امتد ليشمل جيرانها في تونس والجزائر، اللتان عنتا من ظروف مشابهة،

وفي هذه الظروف ظهرت اسر حاكمة محلية، انتمت إلى طبقة القول اوغلية في طرابلس الغرب، أخذت على عاتقها التصدي للمشكلات الداخلية.

درس المبحث الأول "إرساء دعائم الحكم (تموز ١٧١١ - آب ١٧١٢)"، العامين الأولين من حكم احمد القرمانلي، الذي أدرك أهمية حصوله على الاعتراف بشرعية حكمه من الباب العالي، وهو وإن كان اعتراف شكلي، لكن له أهميته القصوى، وهو ما لم يتم بسهولة، مع سعي الدولة العثمانية لإعادة الحكم المباشر، وقد جرت محاولتين بهذا السياق لم يكتب لهما النجاح، بسبب حنكة وسرعة تحرك احمد القرمانلي.

درس المبحث الثاني "نظم الحكم والإدارة"، فمع نجاحه بالحصول على اعتراف الباب العالي في اسطنبول بشرعية حكمه الجديد، شرع احمد القرمانلي بالتصدي للمشكلات الداخلية المزمنة في مسعى دؤوب لتثبيت دعائم الاستقرار، فشرع بعدد من الحملات العسكرية، لقمع الفتن والثورات الداخلية، من اجل ضمان الأمن والسلام في ربوع طرابلس الغرب، ومع نجاحه الكبير في تحقيق ذلك، اخذ يضع اللبنة الأولى لنظام الحكم، فأهتم بالمناصب العسكرية، ثم النفث إلى تحديد اطر الإدارة المالية، كذلك أولى اهتمام كبير إلى المؤسسات القضائية، المكلفة بحفظ النظام وتطبيق القوانين.

درس المبحث الثالث "ملامح النشاط الاجتماعي والاقتصادي"، إلى عدد من الحالات الايجابية التي ميزت الدولة والمجتمع الطرابلسي في العهد الجديد، إذا اهتم احمد القرمانلي بأن يستقطب بلاطه العامر خيرة الأدباء والشعراء، الأمر الذي عزز من هيبة ومكانة حكمه، كما حرص على إشاعة قيم التسامح في التعامل مع غير المسلمين، سواء من السكان اليهود، أو الرعايا الأوروبيين، الأمر الذي وفر أجواء مناسبة لعودة النشاط الاقتصادي وانتعاشه مرة أخرى في أسواق طرابلس الغرب، بخاصة مع الإشراف المباشر والمستمر لأحمد القرمانلي على جميع الأمور الخاصة بالقطاع الاقتصادي، وسعيه الحثيث لتعزيز الواردات الحكومية، من اجل ضمان معيشة السكان، وبالتالي توفير جميع مقومات النمو والاستقرار الضرورية لديمومة الحكم الجديد.

مشكلة البحث

شهدت بلدان المغرب العربي (تونس ١٧٠٥، الجزائر ١٧٠٩، طرابلس الغرب ١٧١١)، قيام اسر محلية تولت الحكم في بداية القرن الثامن عشر، مع الاحتفاظ بالتبعية الاسمية للدولة العثمانية، التي عانت الكثير من المشاكل، ما منعها من التدخل لتوطيد حكمها، في تلك المناطق البعيدة عن اسطنبول، وبالتالي فهي لا تحظى بأهمية تذكر من قبل السلاطين العثمانيين، المنشغلين بالأساس في التصدي للمشاكل والصراعات المختلفة، في حين تمتعت الايالات المذكورة بحالة من الاستقرار السياسي والعسكري، نتيجة قوة سطوة ونفوذ الحكام الجدد.

أهمية البحث

تمتع احمد القرمانلي (١٦٨٦-١٧٤٥)، الذي ينتمي إلى طبقة "القول اوغلية"، وهم أبناء العسكريين العثمانيين من زوجات محليات، بعدد من الصفات الحميدة، يأتي في مقدمتها خبرته العسكرية، ما مكنه من حسم الصراع السياسي والعسكري للوصول إلى سدة الحكم، إذ نجح بتأسيس حكم وراثي في طرابلس الغرب استمر للمدة (١٧١١-١٨٣٥)، وخلال سنوات حكمه (١٧١١-١٧٤٥)، نجح ومن خلال حنكته السياسية وبراعته العسكرية في نشر الأمن والاستقرار في ربوع البلاد، عبر إتباع سياسات حازمة في التعامل مع المشاكل الداخلية، وبخاصة تمرد الزعماء القبليين، بالإضافة إلى نجاحه في إتباع سياسات اقتصادية ملائمة، وفق أسس رصينة، تؤمن حاجات السكان المعيشية.

تمهيد:

نجح العثمانيون في احتلال طرابلس الغرب عام ١٥٥١، فيما يعرف بالعهد العثماني الأول (١٥٥١-١٧١١)، الذي بدأ بداية جيدة عبر أعمال الإصلاح والتعمير، لكن ذلك لم يستمر لمدة طويلة، فقد كانت البلاد تصاب بنكسات من جراء تعاقب الولاة الضعاف الفاسدين، الذين كان همهم الأول فرض الضرائب والإتاوات الجائرة على السكان، من دون أي مقابل أو مبرر، ففي كثير من الأحيان لجئوا إلى العنف في إقرار مطالبهم التعسفية، في مواجهة المعارضة المحلية لتلك الإجراءات، كما إنهم، وهذا حالهم في كل مكان احلوا به أنفسهم، أقلية حاكمة متسلطة، في ممتلكاتهم الشاسعة، من دون أن يقوموا بأي محاولة للإصلاح، لذا كان جمع الضرائب مع ضعف الإدارة في طرابلس الغرب المترامية الأطراف، والتي تتخللها صحراء شاسعة، يستنزف الكثير من الطاقات التي كان يمكن استثمارها للمنفعة العامة، لذلك تكبدت الخزانة خسائر مالية باهظة، إذ استولى الولاة على أموال الضرائب لمنفعتهم الشخصية، بالإضافة إلى تحملها لمرتباتهم ونفقاتهم الكبيرة.

يتضح مما تقدم ذكره، أن البلاد كانت تعيش تحت ظروف إدارية سيئة في الغالب، بحيث لا تكاد تسمح بظهور فرص حقيقية للتعمير أو الإصلاح، ولكن مع ذلك فقد كانت همة بعض الولاة تسمح بقيام تجارب ذات طابع شخصي ينم عن ميل لعمل الخير ويتسم بالخلق القويم، وقد تركزت هذه الانجازات في بناء المرافق العامة وتشديد دور العبادة (الكيب، ١٩٧٨، الصفحات ٩٣-٩٤).

كان من نتائج تدهور الأحوال السياسية والاقتصادية، ظهور عدد من الحركات الانفصالية التي كانت شبه مستقلة عن الدولة العثمانية، ففي تونس تأسست الأسرة الحسينية عام ١٧٠٥، وفي الجزائر استطاع علي باشا شاوش (١٧٠٩-١٧١٨) أن يحدو حدو تونس، وفي طرابلس الغرب تأسست الأسرة القرمانلية عام ١٧١١، وقد جاءت هذه

الحركات كنتاج طبيعي للسياسة التي كانت سائدة في الدولة العثمانية كما رأينا في طرابلس الغرب على سبيل المثال، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى جاءت نتيجة ضعف وانحطاط نفوذ سلاطين آل عثمان الذين أصبحوا مهددين بالثورة حتى في عقر دارهم، كما حدث مع السلطان مصطفى الثاني (١٦٩٥-١٧٠٣) الذي عزل وأنتخب غيره (السلطان أحمد الثالث ١٧٠٣-١٧٣٦) نتيجة لتزايد تدخل الانكشارية في شؤون الدولة (الطويل، ٢٠٠٢، صفحة ٦٣).

إن ظهور الدولة المستقلة عن الدولة العثمانية ليست ظاهرة محدودة ولكنها عكست ظهور طبقة الأعيان في الولايات العثمانية، في بداية القرن الثامن عشر، كأسرة العظم في دمشق، الجليلي في الموصل، الجزار في عكا، ظاهر العمر في فلسطين؛ حيث برزت هذه الطبقة كجامعي ضرائب (أعيان في المدن) في نهاية القرن السابع عشر وأصبحت القاعدة الأساسية للأسر المستقلة في القرن الثامن عشر (حميدة، ١٩٩٥، الصفحات ٤٨-٤٩).

لقد ميز العقد الثاني من القرن الثامن عشر، بداية عهد هام في التاريخ السياسي لطرابلس الغرب، إذ شهد ظهور أسرة محلية، عقب ١٦٠ عام من الحكم العثماني المباشر، وكان ظهورها إلى حد ما، من نتاج ذلك الحكم، ذلك أن السلطان العثماني في سعيه للمحافظة على سلطانه في تلك الايالة حرص على تعيين باشا يتولى أمورها ويساعده في إدارة شؤونها مجموعة من ضباط الانكشارية للإشراف على الإدارة المحلية، وبدأ الانكشاريون في الزواج من السكان المحليين، وبهذا فصح المجال أمام قيام قوة جديدة صاغت تاريخ طرابلس الغرب منذ بداية القرن الثامن عشر، حيث أن الاختلاط الاجتماعي العثماني - المحلي، قد أنتج تدريجياً طبقة القول اوغلية Kologlu، ومعناها "ابن العبد" (تم تحريفها فيما بعد فأصبحت "كرغلي" جمعها كراغلة، وأيضاً كوارغلية)، وبدأ تعيين أفراد هذه الطبقة خاصة خلال القرن السابع عشر، في مراكز إدارية وعسكرية، وبهذا أضحو ضمن النخبة المحلية الحاكمة، وأصبحوا على نحو متزايد من أصحاب السلطة والتأثير في شؤون المجتمع وفي سياسة البلاد، وكان من بينهم احمد القرماني (١٦٨٦-١٧٤٥) الذي أسس الأسرة القرمانية في طرابلس الغرب (١٧١١-١٨٣٥) (فولايان، ١٩٨٨، صفحة ٩).

تنسب الأسرة القرمانية إلى مؤسسها "احمد بن يوسف بن محمود بن مصطفى القرماني، نسبة إلى القبيل المشهور بأرض الأناضول"، فهي أسرة تركية الأصل موطنها الأصلي مدينة قرمان ببلاد الأناضول، وقد وفد مصطفى الجد الأكبر إلى طرابلس الغرب، وكان بحاراً صغيراً وامتلك بعض المزارع والنخيل في المنشية واندمج أبناؤه وأحفاده بأهل البلاد عن طريق المصاهرة، ووصل يوسف باشا والد احمد إلى رتبة باشا أغا فرسان الساحل والمنشية في عهد الوالي خليل باشا (١٧٠٢-١٧١٠)، وخلفه في هذا المنصب ابنه احمد (الطويل، ٢٠٠٢، الصفحات ٦٣-٦٤).

مازالت معالم حياة احمد القرماني الأولى غامضة مثلما كانت سيرته في الجيش، ورغم ذلك لا يوجد أي شك خلال تلك المرحلة السياسية المضطربة التي اتسمت بها بداية القرن الثامن عشر في طرابلس الغرب، في تميزه كقائد ذي كفاءة إدارية وبراعة عسكرية فائقة، ولابد أن شهرته قد جاءت على وجه الخصوص، من خلال الطريقة التي ترفع بها عن مكائد الجماعات القول اوغلية وصراعهم على السلطة، فتمكن من اجتذاب ولاء بعض السكان، كما أنه قاد بنجاح حملات لإحباط حوالي عشرين تمرداً اندلعت في جميع أرجاء البلاد، كنتيجة لرفض السكان مظالم الحكام العثمانيين، وبخاصة في مناطق الدواخل التي امتنع سكانها عن دفع أية ضرائب للسلطة المركزية في طرابلس الغرب، وكانت تلك النجاحات سبباً في رفع مكانته عالياً في سلك الإدارة العسكرية.

أما لماذا امتلك الطموح لارتقاء الحكم، فإنه ليس من السهل معرفته على نحو دقيق، وعلى الرغم من ذلك، فإنه من الممكن تقديم تفسيرين لذلك الدافع، ويكمن التفسير الأول، في أنه لا يمكن أن يكون هناك شك في أن لأحمد القرماني دافعاً شخصياً في الرغبة للإطاحة بالحكم العثماني، وهذا يتضح من نقله للسلطة العسكرية والسياسية العليا لطرابلس الغرب إلى أسرته مباشرة والتي نصبها كأسرة حاكمة عقب إزاحة السيطرة العثمانية، أما التفسير الثاني فيتضح في أنه كانت له أيضاً رغبة حقيقية لتحسين الأحوال السياسية والاقتصادية في البلاد، ويبدو ذلك من نظرة إلى سياسته التي بدأت تتجلى للعيان تدريجياً أثناء مدة حكمه (فولايان، ١٩٨٨، الصفحات ١٠ - ١١).

ينتمي احمد القرماني إلى طبقة القول اوغلية العسكرية، وهم أبناء ضباط انكشارية عثمانيين وأمهات طرابلسيات، ولكنهم في النهاية تصرفوا كعثمانيين وأعضاء في النخبة الحاكمة كضباط أو قوة خاصة أو شرطة وجامعي ضرائب، ولكن الأسرة القرمانية ليست كالولاية العثمانية السابقين، لقد حاول الولاة القرمانيون تقديم أنفسهم للسكان كطرابلسيين وفي بعض الأحيان استخدموا اللغة العربية في كتاباتهم.

وفي عام ١٧١١ أصبحت القول اوغلية الطبقة الحاكمة، ورغم استقلالهم في طرابلس الغرب إلا أنهم احتفظوا بالحماية العثمانية خوفاً من أطماع الدول الأوروبية في غياب الحماية الدولية للسيادة، لذلك عند ارتقاء باشا قرماني جديد، عادة ما يطلب فرماناً من السلطان العثماني في اسطنبول بتعيين الباشا الجديد، ولكن ولاية الأسرة القرمانية تصرفوا سياسياً بشكل مستقل وفي بعض الحالات ضد مصالح الدولة العثمانية، كما حدث أثناء الغزو الفرنسي لمصر (١٧٩٨-١٨٠١)، فلقد ساند يوسف القرماني (١٧٩٥-١٨٣٢)، الحملة الفرنسية نظراً إلى علاقته الاقتصادية مع فرنسا، غير عابيء بمعارضة الدولة العثمانية في اسطنبول (حميدة، ١٩٩٥، صفحة ٤٩).

أصبحت طرابلس الغرب تتمتع بوضع سياسي خاص بين ايلات الدولة العثمانية، فقد كانت من جانب مستقلة عن الباب العالي استقلالاً سياسياً وإدارياً تاماً، وهي من جانب آخر خاضعة لسلطة السلاطين العثمانيين، وهذه

التبعية للدولة العثمانية عليها، معترف بها داخلياً في طرابلس الغرب ذاتها، وخارجياً من قبل جميع الدول الأخرى، أي أنها كانت إذا صح التعبير، "دولة داخل الدولة"، وهذا الوضع الخاص غير معهود في مفهوم العصر الحالي، لأنه ليس استقلالاً داخلياً وحسب، ما دامت طرابلس الغرب تمارس جميع مظاهر السيادة كدولة مستقلة تمام الاستقلال عن الباب العالي وسياسته، على الرغم من استناد الحاكم في شرعية الحكم على الفرمان السلطاني (بازامه، ١٩٧٣، صفحة ٢٩).

المبحث الأول: إرساء دعائم الحكم (تموز ١٧١١ - آب ١٧١٢)

تولى احمد القرماني المنصب وهو شاب لم يبلغ الخامسة والعشرين، وكان لين العريكة حسن المعاملة، لكن يضمّر خلف هذا المظهر المسالم إرادة حازمة، وقد استطاع بهذه الصفات أن يشق طريقه وسط صعاب وعقبات، ويثبت مركزه في طرابلس الغرب، ولم يكن ذلك بالأمر البسير، بل كان دون مكوثه في سدة الحكم نضال مرير على جبهات عدة، ولهذا توقع أكثر القناصل الأوروبيين قرب نهاية هذا الشاب، ولم يخالفهم إلا قنصل فرنسا بوللارد Poullard الذي توقع له النجاح لأنه لاحظ دعم قادة القول اوغلية له وتأييد عرب الجبل أيضاً.

كان أمام احمد القرماني لكي يثبت مركزه أن يفرض وجوده أولاً على اسطنبول ويستصدر من السلطان فرماناً بتعيينه، وأن يقضي بعد ذلك على الفتن الداخلية وينشر الأمن في البلاد، ويحسن العلاقات مع الدول الأوروبية التي كانت لها علاقات وطيدة مع طرابلس الغرب، وأخيراً أن يبذل الجهود لإحداث التقدم في البلاد بعد أن ساءت أحوالها نتيجة الفوضى السابقة (الدجاني، ١٩٦٨، صفحة ٢٥).

لقد جاء أول تهديد للحكم الجديد من الوالي العثماني السابق خليل باشا، الذي نجح بإقناع الباب العالي بأن السكان في طرابلس الغرب على استعداد لاستقباله كمحرر، بعد أن سئموا من الفوضى الدامية، وحصل على فرمان بأن ترافقه عدة سفن إلى طرابلس الغرب، وفي يوم ٥ آب ١٧١١ رست السفن بميناء لبد، وانتشر خبر وصولها في البلاد، وأحدث اضطراباً كبيراً.

لم يفقد احمد القرماني رباطة جأشه، وأعد المدينة للدفاع، ثم عسكر بجنوده بين أسوار المدينة والمنشية وبقي في انتظار الأحداث، وفي اليوم التالي ألقت السفن مراسيها أمام القلعة، ونزل منها المندوب العثماني، الذي ابلغه بفرمان السلطان باستقبال خليل باشا بصفته والي طرابلس الغرب، وفي اليوم التالي اجتمع بالقادة العسكريين "وأقسم بأن خليل باشا سيدخل المدينة بالقوة في حالة حدوث أية مقاومة".

أما ما حدث بعد ذلك، فغير واضح، إذ على اثر تبادل كثير من الرسائل بين الجانبين، أُلغيت السفن العثمانية فجأةً في ١١ آب نحو الغرب، فأعتقد السكان أن خليل باشا قد انتهى أمره، وانتشرت إشاعة لتبرير ما حدث مفادها "أن الفرمان لم يصدر من السلطان بل من الصدر الأعظم"، وبالتالي لا يتيح استعمال القوة، لكن احمد القرماني لم يطمئن لذلك، فأمر سفينتين بتتبع السفن العثمانية، كما أرسل كتيبة من الفرسان إلى صبراته، لمنعها من الرسو.

وفي صباح اليوم التالي، وصلت الأخبار برسوها في زواره، وأن خليل باشا نزل إلى الساحل ومعه نحو ٢٠٠ من أنصاره و ٨٠٠ من القوات البحرية بقيادة مندوب السلطان، وجرى حفر الخنادق، وإنشاء التحصينات العسكرية على مقربة من صبراته، وفي يوم ٢٢ آب، قصفت السفن العثمانية مواقع كتيبة الفرسان، مما يدل على رغبتها في دعم القوات البرية.

لم يكن كل ذلك إلا استعراض قوة لا جدوى منه، لأنه مع اقتراب القوات الطرابلسية في يوم ٢٧ آب من تلك المواقع، انسحب البحارة إلى سفنهم، وجرى أسر خليل باشا، بعد أن تشتت شمل أنصاره، وقتل معظمهم، ثم أُلغيت السفن العثمانية عائدةً إلى اسطنبول، في حين أرسل الأسير إلى مدينة طرابلس الغرب، ليتم إعدامه (ميكاي، ١٩٦١، الصفحات ١٣-١٥).

ولما كان احمد القرماني يخشى من سطوة جنود الانكشارية، الذين كانوا يتسببون في الفوضى والاضطرابات السياسية في البلاد، وكان كل همهم تحقيق مصالحهم الشخصية وتدخلهم المستمر في شؤون الحكم، لذا صمم على القضاء عليهم، ليخلص البلاد من شرورهم، فأقام وليمة في داره واستدعاهم لذلك، ثم أمر بقتلهم، ولم ينجوا منهم سوى القلة، اللذين لجئوا إلى اسطنبول، ولكنه تمكن من تبديد مخاوف الباب العالي، عن طريق الهدايا والهبات التي بعثها برفقة المبعوثين إلى السلطان العثماني وكبار رجالات الدولة (عجيله، ١٩٩٧، الصفحات ١٢٢-١٢٣).

لقد استلم احمد القرماني حكم البلاد في ظروف حرجة، فكان عليه أن يعمل بسرعة لتثبيت دعائم حكمه، وكانت سرعة العمل هذه تتطلب أولاً وقبل كل شيء اعتراف السلطان العثماني به والياً على البلاد، لأن هذا الاعتراف يعد الشرط الأساسي في نجاح حكمه، لذا ومع هزيمته لخليل باشا، أدرك أن الوقت مناسب لذلك، فأرسل وفداً من أعيان البلاد إلى اسطنبول محملاً بالهدايا، وطلب من الوفد شرح أحوال طرابلس الغرب والأسباب التي جعلته يتولى الحكم فيها، ثم محاولة تبرير مقتل خليل باشا الذي قال عنه "أنه وقع فريسة لكرهية سكان الأقاليم له" كما أوصاهم ببذل قصارى جهدهم لجعل السلطان احمد الثالث يوافق على إقراره والياً على البلاد.

ويظهر أن السلطان العثماني لم يقتنع بما قاله هذا الوفد، حيث أنه في ٢٨ تموز ١٧١٢ وصل محمد باشا المشهور "بخانم خوجه"، مكلفاً من الباب العالي بالتحقيق في أسباب مقتل خليل باشا، حيث اظهر له احمد القرماني

استعداده للتعاون الكامل معه، لكنه في حقيقة الأمر احتجزه مع جميع مرافقيه، وعرقل مهمته، حتى اضطر للعودة إلى اسطنبول بدون الوصول إلى أية نتيجة (إسماعيل، ١٩٦٦، الصفحات ٣٥-٣٦).

إن الطريقة التي استخدمها احمد القرمانلي للتعامل مع هذه القضية المصيرية، تظهر وبوضوح مقدار الفطنة والذكاء اللذان يتمتع بهما، إذ سارع بإرسال وفد إلى محمد باشا ليبلغه استعداداه لاستقباله، غير أنه ما أن وطئت قدماه الأرض حتى اقتيد هو وحاشيته المكونة من نحو ١٠٠ شخص، لا إلى القلعة، وإنما إلى احد بيوت المدينة الخاصة، حيث تم وضعهم تحت الإقامة الجبرية المشددة، من دون أن يسمح لهم باللقاء بأحد، إذ كان يخشى في حالة حدوث ذلك، من حصوله على تأييد العناصر المعادية له في طرابلس الغرب، كما اخبر أنصاره الذين كان معظمهم ضالعين في جريمة قتل الوالي السابق خليل باشا، أن المبعوث العثماني الذي أرسلته اسطنبول، كان مكلف بالتحديد بمهمة إلقاء القبض ومعاينة جميع المتواطئين في تلك الجريمة، ليضمن ولائهم.

إن احمد القرمانلي شأنه شأن كل حاكم في بداية عهده بالحكم، لم يكن يفتقر إلى الأعداء، ولذلك فإن هؤلاء اتخذوا من مسألة اعتقال المندوب العثماني داخل أسوار مدينتهم، ذريعة للقيام باحتجاج مسلح ضد الحاكم الجديد، وعندها نجحوا في توحيد صفوفهم وتجميع قواتهم، مجاهرين برغبتهم في إطلاق سراحه، بل وتوليته الحكم ما دام يمثل السلطة الشرعية في الدولة العثمانية، وفي الحال حشد احمد القرمانلي قواته البالغة نحو ٥٠٠٠ رجل، وتمكن من إخماد التمرد بسرعة، والعودة إلى المدينة، وسط مظاهر الاحتفال، مما أسهم في ترسيخ دعائم حكمه (فيرو، ١٩٨٣، الصفحات ٣٦٤-٣٦٥).

وبإخفاق محمد باشا فيما كلف به، وجد السلطان العثماني نفسه أمام الأمر الواقع، كما كانت عاداته دائماً، فلم يجد بداً من الاعتراف به والياً على البلاد عام ١٧١٢ مع منحه لقب "بكلربكي" أي أمير الأمراء، وبذلك ضمن احمد القرمانلي رضا الدولة العثمانية عنه، وانطلق مطمئناً لتحقيق الأهداف التي رسمها لنفسه، واستمرت علاقته بالدولة العثمانية مستقرة حتى رحيله (إسماعيل، ١٩٦٦، صفحة ٣٧).

المبحث الثاني: نظم الحكم والإدارة

اضطرت الأسرة القرمانلية لممارسة التقاليد القديمة في الايالة كنوع من سياسة الأمر الواقع، جيش القرمانليين لم يكن قادراً على هزيمة التحالفات القبلية القوية (الصفوف) في الداخل أو دولة أولاد محمد في فزان، لذلك استمروا مثل الولاة المعينين من اسطنبول في السابق في المراوغة وإغراء بعض شيوخ القبائل بإعفائهم من الضرائب، نظير تعاونهم في جمعها من القبائل الأخرى، ولكن القرمانليين، نوعوا مصادر دخلهم بفرض ضرائب على السفن التجارية

التي كانت تمر في الساحل الطرابلسي، ولكي يستطيعوا فرض هذه الضرائب بنى القرمانيون أسطولاً صغيراً للهجوم على السفن التي ترفض هذه الضرائب التي كانت تسمى "أتاوات".

نجاح القرمانيون بالبقاء في الحكم لمدة طويلة، ويرجع ذلك إلى سياستين مهمتين:

١. التحالف مع شيوخ القبائل الكبيرة وإعفائهم من دفع الضرائب.
٢. معاقبة المتمردين على الحكم بقسوة بالغة، ومن دون هوادة (حميدة، ١٩٩٥، الصفحات ٤٩-٥٠).

لم يكن القضاء على الفتن والفوضى في طرابلس الغرب ميسوراً، فقد كان الفقر والبؤس منتشرين وكان سكان الدواخل يرفضون دفع الضرائب المعتادة، أما سكان المدن فقد ألفوا أعمال الشغب والتظاهر، لذلك بدأ أحمد القرماني منذ اليوم الأول لتوليته، في استئصال بذور هذا الوضع، فأخذ كل محاولة لإثارة التمرد والفتن وأعدم كل من تأمر ضده (الدجاني، ١٩٦٨، صفحة ٢٧).

يذكر المؤرخ الطرابلسي ابن غلبون المعاصر لأحمد القرماني، والمتوفى عام ١٧٦٣، في كتابه "التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار" الصادر عام ١٧٣٢، ما نصه "وهو الذي أسس قوانين الدولة، وأحيا رسوماً دائرة من قواعدها"، في حين يقول عنه المؤرخ الطرابلسي أحمد النائب الأنصاري (١٨٤٨-١٩١٨)، في كتابه "المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب"، الصادر عام ١٨٩٩، أنه "اتخذ جمعية علمية لحسم النوازل والمحاكمات الشرعية، وكان لين العريكة يؤثر العدل والإنصاف" (الزاوي، ١٩٧٠، صفحة ٢٢٣).

في حين يورد المؤرخ النيجيري د. كولا فولايان في كتابه الصادر باللغة الانكليزية عام ١٩٧٩، ما مفاده "لقد رفع حكم أحمد، الذي دام حوالي ٣٤ سنة طرابلس إلى درجة عالية من العظمة، لم يسبق لها أن شهدت مثيلاً لها، حيث زادت تحسيناته البحرية والعسكرية قوة البلاد، على نحو ملحوظ، وكان برنامجه الداخلي توحيدياً، وقاد إلى سلسلة من حملات القمع لثورات السكان العرب بالدواخل ووجهت حملاته، على وجه الخصوص إلى إخضاع برقة وفزان ووضعها تحت سيطرته، وعند وفاته، في سنة ١٧٤٥ كانت فزان في قبضته، واتم بنجاح تهدئة بقية أجزاء البلاد" (فولايان، ١٩٨٨، الصفحات ١١-١٢).

لقد كان اهتمام أحمد القرماني منذ البداية منصباً على إعادة الأمن والاستقرار إلى المدينة والضواحي القريبة منها على الأقل، التي أصبحت ملجأً للصووص وقطاع الطرق الذين استطاعوا نهب آخر قافلة قادمة من السودان قبل وصولها إلى المدينة، ومن الواضح أن هذه الحالة كانت مألوفة في مدينة طرابلس الغرب منذ بداية القرن الثامن عشر نتيجة للفوضى السياسية التي كانت تعيشها بحيث لم يعد هناك أي نشاط اقتصادي ملموس بصورة عامة،

الأمر الذي أدى إلى إفلاس خزانة البلاد حتى أصبحت غير قادرة على تسديد رواتب الجند فأصبحوا هم أيضاً معول هدم في المدينة، ولكي يوضع حداً لذلك قام بعدة حملات على الدواخل استمرت طيلة العقد الأول من حكمه وهي المدة التي يمكن أن نسميها مرحلة إعادة السيطرة على البلاد وتثبيت الحكم (الطويل، ٢٠٠٢، صفحة ٦٤).

بعد الحصول على لقب الباشوية من السلطان العثماني، انصرف احمد القرماني قبل كل شيء إلى تدعيم سلطته داخل البلاد، وخلال ٣٤ عام من حكمه في الايالة كان عليه أن يخمد ما يزيد على العشرين تمرد ومؤامرة (روسي، ١٩٩١، الصفحات ٢٧٨-٢٨٢)، ونتيجة لكثير من الجهود انتهى في واقع الحال إلى تأسيس دولة إقطاعية مستقلة لا تعترف إلا شكلياً بالسلطة العليا للباب العالي في اسطنبول، فقسم البلاد إلى مناطق يترأس كل منها قائد من الموالين له بصفة مطلقة، وأعيد في عهد الحاكم الجديد تنظيم الجيش والأسطول فكان من نتائج ذلك أن فقد الانكشارية كليا أهميتهم كقوة عسكرية، ومنذ ذلك الحين كان القول اوغلية معتمد الأسرة الحاكمة وقلب جيشها، أما بقية العناصر الانكشارية فأعيد تنظيمها ووزع أفرادها على مختلف الفرق العسكرية والحاميات، كما نظم احمد القرماني فرقة احتفالات عسكرية تابعة لقصره اشتهرت بمظهر أعضائها ونشاطاتها المتنوعة الغير معتادة في طرابلس الغرب.

كذلك أولى احمد القرماني عناية كبيرة لشؤون الدين، فكان يسهر باهتمام خاص على أن تجري السلطة الإدارية في مواطنها وفقاً لأسس الشريعة، وبمناسبة ذلك أمر بإعادة المحاكم الشرعية التي أبطلت في عهود الفوضى السابقة، كما أمر بافتتاح محاكم شرعية في الأماكن التي خلت منها، وفي عهده حظي المرابطون وشيوخ الزوايا بمكانة خاصة، وكانوا يؤثرون تأثيراً ملموساً على الأحداث الدائرة في البلاد (بروشين، ٢٠٠١، الصفحات ١٠٨-١٠٩).

لقد نشأت في طرابلس الغرب حكومة استبدادية مطلقة، وذلك لأن الديوان (يتألف من الوزراء وكبار موظفي الدولة ومن كل من كانوا سفراء لدى الممالك الأوروبية ومن ضباط الجيش ورؤساء البحرية)، الذي كانت موافقته ضرورية على القرارات في الشؤون الهامة في الماضي وخاصة كل ما يتعلق بالعلاقة مع الباب العالي والدول الأوروبية وشؤون الحرب والمعاهدات، فقد كل أهميته بعد أن منحت للقادة سلطات حكومية لمنح الضمانات والرخص وجوازات سفر، وأصبح لا يدعى إلا عندما يرى الباشا حاجة لذلك، إذ أن إرادته أصبحت القانون الوحيد في البلاد.

كان "البيك" في المرتبة الأولى من رجال الدولة وهو رئيس كل القطاعات العسكرية، ويقع على عاتقه أمر استتباب الأمن والنظام في البلاد، وتحصيل الضرائب، ولقد شغل احمد القرماني المنصب بمجرد استيلائه على السلطة، ثم شغله أخيه غير الشقيق الحاج شعبان، ثم منحه بعد ذلك لابنه بالوراثة، كما كان يتبع الباشا مختلف "الاغاوات"،

والرؤساء العسكريين الذين كان على رأسهم في الأهمية "أغا الانكشارية"، والمقصود بهم جماعة من القول اوغلية كان يتألف منهم الحرس الخاص في أيام السلم، وفرقة الفرسان أثناء الحروب.

أما الأسطول فيتولى قيادته "ريس البحرية" أو قبطان الميناء، وكان من واجبه تجهيز وإعداد السفن التي كانت تخرج من الميناء للغزو وحفظ النظام، في كل ما يتعلق بإبحار السفن ورسوها في الميناء، وشحن البضائع وتحصيل الضرائب الجمركية، وكان يتبعه الرؤساء الذين كانوا يتولون قيادة السفن.

في حين يتألف "الكخييا الكبير" الإدارة المدنية، وهو المستشار الخاص، والقاضي الذي يتولى شؤون القبائل، ويفض خصوماتها، وكان من واجبه الإشراف على تنفيذ الأوامر والفرمانات ومعاينة المخالفين، وفي حالة تغيبه أو وجود ما يمنعه من أداء عمله، كان يوجد "الكخييا الصغير"، الذي يحل محله وهو ناظر القلعة وقائد حرس الباشا، وكان يعهد إليه أمر تربية "البك" أي ولي العهد وتعليمه.

أما الشؤون المالية فكان يشرف عليها ويتولى تصريفها "الخازندار" أو أمين الخزانة الذي كان من مهام عمله العناية بإرسال الرسائل الرسمية والإشراف على مماليك الباشا، وكانت حكومة النواحي المختلفة والقبائل موكولة إلى "القائد".

وبالإضافة إلى ما تقدم ذكره، يوجد في مدينة طرابلس الغرب موظف قضائي كبير لحفظ النظام وإدارة القضاء، وهو "الشيخ"، كما كان يعين في وظيفة "قائد" بعض الموظفين القضائيين الخصوصيين الذين يتأرون بعض القبائل والجماعات المعينة، أو بعض طوائف النشاط الاقتصادي.

وكان يحلو للباشا أن يفصل بنفسه في الخصومات بين رعاياه، وعند ذلك كان يساعده المفتي والقاضي، وكان هذا الأخير هو رئيس القضاء الشرعي، كما كان لأمناء الباشا "الخوجات" أهمية خاصة ضمن المؤسسات الرسمية، إذ كان غالباً ما يتم الاختيار من بينهم للسفراء المعيّنين لدى الدول الأوروبية العظمى (ميكاكي، ١٩٦١، الصفحات ٢٩-٣٠).

المبحث الثالث: ملامح النشاط الاجتماعي والاقتصادي

لم يكن أحمد القرمانلي بالشخصية المتعلمة المثقفة، ولكن سطوته وكرمه جذبا إليه المتعلمين والدارسين اللذين تجمعوا حول بلاطه، وكان الهدوء النسبي الذي ساد البلاد، بعد عقود طويلة من الاضطرابات الداخلية، قد ساعد

على إحياء الدراسات الدينية وبعثها، وكانت مدائح الشعراء تضيء عليه هالة من الزهو والمهابة، التي يبدو أنها لم تحط بأحد من الحكام الذين تعاقبوا في الماضي على حكم البلاد.

كان من ثمرات الرعاية التي أضفاها أحمد القرماني على العلماء، تلك الدراسة التاريخية عن طرابلس الغرب التي قام بها أبو عبدالله محمد بن غلبون الذي ينتمي إلى أسرة عربية كبيرة بمصراته، فقد ألف في عام ١٧٣٢ كتابه "التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار"، وقد دفعه إلى تأليفه قصيدة انشدها أحمد بن عبد الدائم الأنصاري، وفي الرد على هجاء شخص مجهول، يعتقد أنه من فزان، ضد طرابلس الغرب والطرابلسيين، وهي تتألف من خمسة وعشرين بيتاً، وحول هذا الموضوع نسج ابن غلبون تاريخه الذي يبدأ بالفتح العربي حتى يصل إلى العام العشرين من عهد أحمد القرماني (روسي، ١٩٩١، الصفحات ٢٨٦-٢٨٧).

يعتبر هذا الكتاب من أهم وأقدم المراجع لدراسة تاريخ طرابلس الغرب، وأصدق مصادر تاريخ ليبيا في عصورها الإسلامية ومدة العهد العثماني الأول بالتحديد، إذ اعتمد المؤلف على كتب التاريخ من المصادر المعتمدة مثل (ابن عبد الحكم، وابن الأثير، وابن خلدون)، كما اعتمد على مشاهدات الرحالة من الحجاج أثناء زهابهم إلى المشرق، وعلى ما دونه الجغرافيون أمثال البكري، والإدريسي.

ولعل من أقيم المصادر مشاهداته الشخصية، والروايات المعاصرة له، والأحداث التي عاشها المؤلف وشاهدها عن كذب، ومميزته بالنسبة إلى غيره من مدوني التاريخ أنه كان مستعملاً المنهج العلمي، والمنطق وأسلوب المقارنة والاستنباط في كثير من المواضع، عندما يسرد الوقائع ويسجل الحوادث (المصراطي، ٢٠٠٢، الصفحات ١٢٧-١٢٨).

وما من شك في أن البلاط القرماني كان بلاطاً رائعاً مزدهراً، وكثيراً ما يجد فيه ملجأ وملاذاً كثير من الحكام والأمراء المعزولين، وقد توطدت الصداقة في عهده، بسلاطين وأشرف المغرب الذين كانوا يمرون بطرابلس الغرب أثناء زهابهم لزيارة الديار المقدسة وعودتهم منها، وفي شباط ١٧٣١ حلت ضيفة فيه أرملة سلطان المغرب المولى إسماعيل (١٦٧٢-١٧٢٧)، ووالدة السلطان عبدالله بن إسماعيل (١٧٢٧-١٧٥٧)، وهي المعروفة باسم "للا خناتة"، فأكرمها وعاملها معاملة لائقة بمقامها الرفيع، وانزلها بجناح فخم من قصوره، ولما سافرت قدم لها خمسين بغير ووفر لها حراسة كافية، وأمر عماله أن يقدموا إليها كل ما تحتاج إليه.

كما أظهر أحمد القرماني على الدوام نوعاً من التسامح إزاء الفئات غير الإسلامية، حيث عامل السكان اليهود معاملة إنسانية، وقد ظفروا طوال العهد القرماني بأهمية تجارية كبرى في طرابلس الغرب، كما احترم حقوق المقيمين المسيحيين وحمى دوماً المرسلين المسيحيين، وفي عام ١٧٣٠ حضر أحد القساوسة من "هيئة تخلص الأسرى"،

قادماً من اسطنبول، واعتق ثلاثين أسيراً (٢٦ من البندقية و ٤ من ميلانو) بعد أن افتداهم بمبلغ ١٠٤١٢ دوكاتو، وحصل في الخصوص على جواز مرور شامل، كما عامله احمد القرماني معاملة لائقة (روسي، ١٩٩١، الصفحات ٢٨٧-٢٨٨).

أما المصادر الرئيسية للدخل فقد كانت الضرائب على الواردات والصادرات وضريبة الرأس على بعض الأفراد، مثل اليهود، والضرائب التي كانت تدفعها القبائل العربية في مناطق الدواخل في طرابلس الغرب، وفزان، والمبلغ السنوي الذي كانت تدفعه البندقية، لاستغلال الملاحات في بوكماش الواقعة بالقرب من مدينة زليتن في المنطقة الغربية (ميكاي، ١٩٦١، صفحة ٣١).

لقد صاحب برنامج احمد القرماني السياسي، الانتعاش الاقتصادي للبلاد، ذلك أن احد الانتقادات الخطيرة التي يمكن توجيهها للعثمانيين، بصرف النظر عن التعسف في فرض وجباية الضرائب، إنهم لم يقوموا بشيء تجاه تحسين الأحوال الاقتصادية للبلاد خلال مدة العهد العثماني الأول (١٥٥١-١٧١١)، وربما كان احمد القرماني مصمماً على تصحيح ذلك، ففي البداية، كان إخضاعه للبلاد سبباً في استقرار سياسي كبير حيث ضمن الأمن اللازم الذي سبب رواجاً منظماً للتجارة عبر الصحراء، والتي تشكل المصدر الرئيس للدخل في طرابلس الغرب، تبع ذلك وكإجراء اقتصادي، دعوته وتشجيعه "الأتراك الشرقيين" للاستقرار في طرابلس الغرب، والمقصود بهم جميع المسلمين في الشرق الأوسط مثل المصريين والسوريين أو أي رعايا عثمانيين.

ساهم هؤلاء الوافدين بحصولهم على حوافز خاصة، في الكثير من التحسن الاقتصادي للبلاد وتم توجيه البعض منهم إلى الفلاحة، حيث قاموا بزراعة محاصيل الغذاء والتصدير، وبزيادة الإنتاجية الزراعية أكثر مما يحتاجه السكان لغذائهم أثناء مواسم الإنتاج الوفير أمكن تخزين الفائض لمواجهة مواسم الجفاف، بالإضافة إلى أن زيادة إنتاج محاصيل التصدير مثل القمح والشعير والتمور، تعني زيادة في دخل البلاد، وإلى جانب القطاع الزراعي، شجع بعضهم على المساهمة في التجارة فساهموا في زيادة حجم تجارة طرابلس الغرب الخارجية عموماً، وفي التجارة عبر الصحراء على وجه الخصوص، كذلك ساعد بعض من هؤلاء، في إدخال ما يمكن تسميته "الصناعات اليدوية"، مثل صناعة النسيج من الصوف والصناعات الجلدية من جلود المواشي والماعز، وعلى ذلك أسهم هؤلاء في الانتعاش الاقتصادي الذي شهدته طرابلس الغرب أثناء مدة حكم احمد القرماني.

رحل احمد القرماني بتاريخ ٤ تشرين الثاني ١٧٤٥، عن عمر يناهز الستين عاماً، ووري الثرى في الجامع الكبير الذي شيده باسمه في المدينة، ونجد أنه قد قام بالكثير من الانجازات خلال مدة حكمه، وعلى مختلف

المجالات، باتجاه وضع طرابلس الغرب على أساس متين، تتمثل في حالة الاستقرار السياسي والانتعاش الاقتصادي، بالمقارنة مع حالة الفوضى والفلتان الأمني في العهد السابق (فولايان، ١٩٨٨، الصفحات ١٢-١٣).

الخاتمة

شهدت طرابلس الغرب في العام ١٧١١، تأسيس الحكم القرمانلي، الذي انهي العهد العثماني الأول (١٥٥١-١٧١١)، والذي عانت البلاد إبانها حالة مزمنة من الفوضى والصراعات الداخلية، نتجت بشكل أساسي عن الضعف الذي أصاب الدولة العثمانية، ما مهد لسلسلة من السلاطين الضعفاء، المسلوبين الإرادة، والخاضعين لرغبات الانكشارية، الذين كانوا الحكام الفعليين، إذ بيدهم مقاليد السلطة والنفوذ، فتحكموا بمركز الحكم في اسطنبول، ولم يكن الأمر ليختلف عن ما سبق ذكره، في باقي أرجاء الدولة العثمانية.

أثناء ذلك عانت البلاد من صراع محتدم على الحكم، أفضى إلى صعود طبقة القول اوغلية، وهم أبناء الضباط العثمانيين من زوجات محليات، الأمر الذي جعلهم على معرفة وثيقة بالأوضاع المتدهورة، وحثمية الإصلاح، وقد تزعم هذا المشروع احمد القرمانلي، الذي انحدر من خلفية عسكرية، كما اكتسب خبرة ودراية قتالية فذة، أهله ليتبوأ سدة الحكم، وهو في سن الخامسة والعشرين، مستغلاً حالة التذمر بين صفوف السكان من عهد الفوضى الطويل، الذي أفنى أرواح الناس، وأدى إلى شلل القطاع الاقتصادي، من جراء انعدام الأمن والضرائب الفادحة المفروضة على السكان، كذلك التعسف والعنت في جبايتها، فساد الفقر والجوع والحرمان في البلاد، مع عدم وجود أفق خلال المستقبل المنظور، لانتهاؤ تلك الأزمة التي طال أمدها، في ظل غياب أي تحرك جاد من لدن السلطة العثمانية، التي كانت هي الأخرى منشغلة بالتصدي لأزماتها المتلاحقة.

لم يضيع الحاكم الجديد الوقت أو الجهد، فشرع بالسعي للحصول على اعتراف الباب العالي بشرعية حكمه، وهو الأمر الذي وضعه في مقدمة أولوياته، باعتباره سيؤمن له الدافع لكي يباشر بوضع خطته موضع التنفيذ، وقد تم له ذلك، عقب محاولتين لم يكتب لهما النجاح، من قبل السلطات العثمانية خلال المدة (١٧١١-١٧١٢)، لإعادة بسط السلطة المركزية على الايالة، لكن الحاكم الجديد لم يقطع الأواصر مع اسطنبول، وإن في الظاهر، لكنه في حقيقة الأمر كان يمارس جميع صلاحيات الحكم بصورة مستقلة.

كان تحرك القوات القرمانلية التي تدين بالولاء المطلق إلى الحاكم الجديد، باتجاه تأمين مناطق ضواحي العاصمة طرابلس الغرب، في مسعى لتأمين مركز السلطة، وما إن تم له تحقيق ذلك عبر سلسلة من الحملات العسكرية، للتصدي للفتن والتمردات الداخلية، لكن رافق ذلك التمسك بالتقاليد العسكرية الموروثة، أي أعداد قوات

من النخبة، بالإضافة إلى كسب ود شيوخ القبائل المتنفيين، من أجل الاستعانة بهم، لجمع الضرائب ومهاجمة القبائل الأخرى التي امتنعت عن الخضوع للحكم الجديد.

أدرك أحمد القرماني منذ البدء، ضرورة النهوض بالقطاع الاقتصادي، الذي عانى الأمرين، خلال عقود طويلة من الفوضى والانحلال، بالإضافة إلى الفساد الذي كان متفشياً بين الكوادر الإدارية، فسعى إلى وضع نظام إداري منضبط، يكون الحاكم في قمته، ما يتيح له توجيه دفة الحكم في طرابلس الغرب بروية وسلاسة، من دون الخوض في صراعات داخلية، تستنزف موارد البلاد، أو الدخول في صراع مع مراكز القوى، أو المتآمرين والطامعين بالوصول إلى الحكم، كما كان يحدث في السابق.

اتبع أحمد القرماني سياسات رشيدة اتسمت بالفعالية والمرونة طيلة مدة حكمه الطويل (١٧١١-١٧٤٥)، سواء بتوفير الأجواء الآمنة لازدهار النشاط الاقتصادي وحركة الأسواق، الأمر الذي وفر أسباب العيش الكريم للسكان، أو بإتباع سياسات تتسم بالتسامح مع السكان اليهود، الذين كان لهم دور مهم في مسيرة النمو الاقتصادي، كذلك حظي التجار والمقيمون الأوروبيين بالأمان والحماية في ظل حكمه، ما سمح بازدهار النشاط التجاري في طرابلس الغرب.

قائمة المصادر

- الدجاني، أحمد صدقي. (١٩٦٨). أحاديث عن تاريخ ليبيا. طرابلس- ليبيا: دار المصراطي للطباعة والنشر.
- الزاوي، الطاهر أحمد. (١٩٧٠). ولاية طرابلس الغرب من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي. بشينه- ليبيا: ط١، دار الفتح للطباعة والنشر والسيد محمد الرماح.
- الطويل، أحمد سعيد. (٢٠٠٢). البحرية الطرابلسية في عهد يوسف باشا القرماني (١٧٩٥-١٨٣٢م). بيروت- لبنان: ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة.
- المصراطي، علي مصطفى. (٢٠٠٢). مؤرخون من ليبيا (مؤلفاتهم ومناهجهم). مصراته: ط٢، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان.
- . الكيب، نجم الدين غالب. (١٩٧٨). مدينة طرابلس الغرب عبر التاريخ. ليبيا- تونس: ط٢، الدار العربية للكتاب.
- أبو عجيلة، د. محمد الهادي. (١٩٩٧). النشاط الليبي في البحر المتوسط في عهد الأسرة القرمانية ١٧١١م- ١٨٣٥م وأثره على علاقاتها بالدول الأجنبية. بنغازي: ط١، منشورات جامعة قار يونس.

- إسماعيل، عمر علي بن. (١٩٦٦). انهيار حكم الأسرة القرمانيّة في ليبيا ١٧٩٥-١٨٣٥، رسالة ماجستير منشورة. طرابلس- ليبيا: ط١، مكتبة الفرّجاني.
- بازامه، محمد مصطفى. (١٩٧٣). الدبلوماسية الليبية في القرن الثامن عشر. بنغازي: مكتبة قورينا للنشر والتوزيع.
- حميد، د.علي عبد اللطيف. (١٩٩٥). المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا، سلسلة أطروحات الدكتوراه (٢٦). بيروت-لبنان: ط١، مركز دراسات الوحدة العربية.
- روسي، إيتوري. (١٩٩١). ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١، ترجمة وتقديم خليفة محمد التليسي. ط٢، الدار العربية للكتاب.
- فولايان، د.كولا. (١٩٨٨). ليبيا أثناء حكم يوسف باشا القرماني، ترجمة د. عبد القادر مصطفى المحيشي. ليبيا: ط١، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، سلسلة الكتب المترجمة-٥.
- فيرو، شارل. (١٩٨٣). الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الايطالي. طرابلس: ط٢، ترجمة د. محمد عبد الكريم الوافي.
- ميكاي، رودلفو. (١٩٦١). طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرماني، ترجمة طه فوزي. جامعة الدول العربية: معهد الدراسات العربية العالية.
- نيكولاي إيليتش بروشين. (٢٠٠١). تاريخ ليبيا منذ منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين، ترجمة د.عماد حاتم. بيروت-لبنان: ط٢، دار الكتاب الجديد المتحدة.

ibliographyB

- Al-Dajjani, Ahmed Sidqi. (1968). Talks about the history of Libya. Tripoli – Libya: Dar Al-Misrati for Printing and Publishing.
- Al-Zawi, Al-Tahir Ahmed. (1970). The governors of Western Tripoli from the beginning of the Arab conquest to the end of the Turkish era. Bashina – Libya: 1st edition, Dar Al-Fath for Printing and Publishing, by Mr. Muhammad Al-Rammah.

- Al-Taweel, Ahmed Saeed. (2002). The Tripoli Navy during the reign of Youssef Pasha Al-Qaramanli (1795-1832 AD). Beirut – Lebanon: 1st edition, United New Book House.
- Al-Misrati, Ali Mustafa. (2002). Historians from Libya (their works and methods). Misrata: 2nd edition, Dar Al-Jamahiriyah for Publishing, Distribution and Advertising.
- . Al-Keib, Najm al-Din Ghalib. (1978). The city of Tripoli in the West throughout history. Libya-Tunisia: 2nd edition, Arab Book House.
- Abu Ajila, Dr. Muhammad Al-Hadi. (1997). Libyan activity in the Mediterranean during the era of the Karamanli dynasty 1711 AD – 1835 AD and its impact on its relations with foreign countries. Benghazi: 1st edition, Qar Yunis University Publications.
- Ismail, Omar Ali bin. (1966). The Collapse of the Qaramanli Dynasty in Libya 1795-1835, published master's thesis. Tripoli – Libya: 1st edition, Al-Ferjani Library.
- Bazama, Muhammad Mustafa. (1973). Libyan diplomacy in the eighteenth century. Benghazi: Quryna Library for Publishing and Distribution.
- Hamid, Dr. Ali Abdel Latif. (1995). Society, State and Colonialism in Libya, Doctoral Theses Series (26). Beirut-Lebanon: 1st edition, Center for Arab Unity Studies.
- Rossi, Ettore. (1991). Libya from the Arab Conquest until 1911, translated and presented by Khalifa Muhammad al-Talisi. 2nd edition, Arab Book House.
- Folayan, D. Kula. (1988). Libya during the rule of Youssef Pasha Al-Qaramanli, translated by Dr. Abdul Qader Mustafa Al-Muhayshi,. Libya: 1st edition,

Publications of the Libyan Jihad Center against the Italian Invasion, Translated Book Series-5.

Ferro, Charles. (1983). Libyan chronicles from the Arab conquest until the Italian invasion. Tripoli: 2nd edition, translated by Dr. Muhammad Abdel Karim Al-Wafi.

Mikaki, Rodolfo. (1961). Western Tripoli under the rule of the Karamanli family, translated by Taha Fawzi. League of Arab States: Institute of Higher Arab Studies.

Nikolai Ilyich Proshchin. (2001). The history of Libya from the middle of the sixteenth century until the beginning of the twentieth century, translated by Dr. Imad Hatem. Beirut-Lebanon: 2nd edition, United New Book House.